مُناقشات

عودة الى :

السداسية وادب المقاومة

بقلم سامي عطفة

في المقدمة المسهبة التي استهل بها الناقد الاستاذ فؤاد دواره دراسته المنشورة في عدد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ من «الآداب» ، والتي تناول فيها بالنقد الابحاث المنشورة في عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ من «الاداب» ، وجدناه يدعو الى التزام الامانة والصدق والموضوعية في الحوار والنقد والبحث ، مؤكدا على وجوب نبذ الدعاوى والتعميمات العريضة والاحكام القاطعة .

واذا كنا نشكر للاستاذ دواره عودته الى التذكير بهذه المبادىء ـ الامانة ، والصدق ، والموضوعية ـ التي هي بطبيعة الحال من البديهيات المسلم بها في مناهج النقد والبحث والكتابة عامة ، فانما كنا نتوقعه هو ان يلزم الاستاذ دواره نفسه بهذه المبادىء في تناوله لابحاث العدد الماضي من «الاداب» . فهل فعل ..؟

والاجابة على هذا السؤال اعود الى الكلمة التي وردت في دراسته تلك حول مقالي المنشور في عدد تشرين الثاني من «الاداب» تحت عنوان «العذاب والامل في سداسية الايام الستة» كيما نرى ما يتسم به قلم الاستاذ دواره من امانة وصدق وموضوعية .

ففي هذه الكلمة ساق الاستاذ دواره ملاحظتين اساسيتين حول المقال وهما :

١ ـ انه يرى ان السداسية هي مجموعة قصص قصيرة وليست رواية . وفي هذا الصدد يقول : «نستطيع التوقف عند مقال سامي عطفة عن كتاب «سداسية الايام الستة» لاميل حبيبي (ابي سلام) من ادباء الارض المحتلة لنختلف معه حول قوله ان «السداسية تجمع بين شكل الرواية والقصة (يقصد القصيرة) في معادلة فنية متماسكة» ، ونرى على العكس من ذلك انه من الخطأ البالغ اطلاق اسم الرواية على هذه القصص القصيرة الست، فحيث تنعدم وحدة الموضوع والشخصيات والبيئة والفكرة كما في هذه السداسية يستحيل ان نكون امام رواية » .

٢ ـ وفي الملاحظة الثانية يرى ان السداسية ليست ثورية ولا يمكن ادراجها ضمن ادب المقاومة . وفي هذا الصدد يقول : « ومن الحق ان هذه القصص جميعا تدور في الارض المحتلة ، ومن الحق انها مكتوبة بصدق وشاعرية وحب فياض للوطن المغتصب ، ولكنها ليست ثورية بحال ولا يمكن ادراجها ضمن ادب المقاومة ، بل لعلها نشرت في اسرائيل وبرضى سلطاتها قبل ان تصل الينا ، فهي لا تمس السلطات الاسرائيلية مسا مباشرا ، وهي بموافقتها على نشرها تستطيع ان تتبجح زاعمة انها تكفل حرية التعبير للعرب المقيمين داخل حدودها، وتلك هي الخدعة الكبيرة التي وقع فيها الكثيرون منا حين اسرفوا في التهليل لكل شعر الارض المحتلة ونتاجها الادبي» .

وفي الوقوف امام الملاحظة الاولى ، التي تتناول شكل السداسية الفني ،اي ما اذا كانت رواية ام مجموعة قصص قصيرة ، او انها شكل فني يجمع بين الرواية والقصة ، لا بد لنا من ان نناقش فيها مفاهيم: الموضوع والشخصية والبيئة والفكرة . ولي هنا ملاحظة اساسية وهي ان هذه المفاهيم ليست ثابتة على حال واحدة ، بل هي مفاهيم متطورة ومتغيرة ، بل هي تختلف بين مدرسة ادبية واخرى . وتبعا لذلك ينبغي لنا ان نحكم على العمل الادبي بمقاييسه هو لا بمقاييس مدرسة اخرى . وكمثال على ذلك فان محاكمة الرواية الحديثة بتطبيق مقاييس الرواية التقليدية عليها ستنتهي الى الحكم باعدامها ، والعكس صحيح .

ولو عدنا الى الاجواء التي ترسم ملامحها هذه السداسية ـ التي استوحت عنوانها من حرب الايام الستة كما هو مبين ـ لوجدنا ان السداسية لا تفتقر تماما الى وحدة الموضوع والشخصيات والبيئة والفكرة ، خلافا لما ذهب اليه الاستاذ دواره في كلمته . فالموضوع واحد وهو يتألف من مجموعة الآثار النفسية والاجتماعية والسياسية التي خلفتها احداث الحرب ونتائجها على شخصيات الاقاصيص الست، ان آثار حرب حزيران والهزيمة هي الاطار العام الذي تدور خلاله وتحت تأثيره احداث هذه الاقاصيص . كما ان الشخصيات هنا تحيا عبر هذا المناخ وتخضع لتأثيراته ، فهي شخصيات تحمل نفس الهموم. وذلك هو الحال بالنسبة للبيئة والفكرة . فالبيئة هي مجتمع عرب الارض المحتلة بما يخضع له هذا المجتمع من شروط اجتماعية وظروف سياسية واحدة ، اما الفكرة فان اتجاه الاحداث في الاقاصيص الست يعبر عنها وهي محاولة البحث عن الخلاص من هذه الحياة الكابوسية في ظل الاحتلال .

ولكن هناك مسألة ينبغي ايضاحها ، وهي ان وحدة الموضوع والشخصيات والبيئة والفكرة ليست هي نفس الوحدة التي نجدها في الرواية التقليدية . اذ من المؤكد انك لن تجد في السداسية حدثا واحدا يمتد عبر اقاصيصها الست وكذلك هو الامر بالنسبة للشخصيات. ولكن بديل الوحدة هنا هو التكامل . اذ ان الاقاصيص الست تؤلف لوحات متكاملة يربط بينها الاطار العام والفكرة الموجهة وهي ايضا تترك لدى القارىء انطباعا او اثرا واحدا ، ولذلك فقد انتهت الى الرأي القائل بانها تجمع بين شكلي الرواية والقصة . علما بانه سيبقى الى القول بهذا الرأي نقاد آخرون منهم الاستاذ رجاء النقاش .

هذا ولا بد ان اوضح انني استعملت كلمة «قصة» للدلالة على الشكل الفني للقصة القصيرة ، وذلك لان كلا من كلمتي «رواية» و«قصة» قد اختصت ـ بحكم الاستعمال على الاقل ـ بالدلالة على شكل ادبي يميزها عن الاخرى .

اما الملاحظة الثانية والاهم في كلمة الاستاذ دواره فهي تلك التي يزعم فيها ان السداسية ليست ثورية بحال وانه لا يمكن ادراجها ضمن ادب المقاومة .

ولقد دهشت وانا اقرأ هذا «الحكم القاطع» ، وزادت دهشتي حينما رأيته يعمم هذا الحكم على شعر الارض المحتلة ونتاجها الادبي، متذرعا بموافقة السلطات الاسرائيلية على نشر هذا النتاج في الارض المحتلة لتبرير زعمه هذا . وقد يظن القارىء ان هذا النتاج لا يمس السلطات الاسرائيلية .. بل وقد يظن ان هذه السلطات مرتاحة ضمنا لنشر هذا النتاج ، لان نشره ـ على حد زعم الاستاذ دواره ـ يتيح لها فرصة الادعاء امام العالم بانها تكفل حرية التعبير للعرب المقيمين داخل الارض المحتلة ..!

ومن حسن الحظ ان «الاداب» نشرت في نفس العدد ، الذي احتوى دراسة الاستاذ دواره ـ عدد كانون الاول ١٩٧٠ ـ نص الكلمة التي القاها الشاعر محمود درويش في مؤتمر نيودلهي للكتاب الاسيويين الافريقيين ، تحت عنوان «واقع الكاتب العربي في اسرائيل» . فهي قد اتاحت لنا بذلك ان نقتطف من شهادة محمود درويش هذه الادلة

التي تدحض مزاعم الاستاذ فؤاد دواره .

في هذه الكلمة يوضح محمود درويش الموقف النضالي للكتاب العرب في الارض المحتلة ، اذ يقول : «اني اتكلم بصفة شخصية ، ولكنني قد اعبر عن مشاعر زملائي الكتاب والشعراء العرب المضطهدين في اسرائيل ، والذين يدافعون عن حقهم في التنفس وعن حق شعبهم في الحياة .. وظهورهم الى الحائط . ان المعركة التي نخوضها في بلادنا هي معركة الانسان المسحوق الذي يرفض الاعتراف بالموت» . ويضيف واصفا المناخ غير الانساني الذي تفرضه السلطات الاسرائيلية على الكتاب العرب في الارض المحتلة ، «ان اجمل اعمالنا الادبية كتبت في السجون .. في السجون السياسية وفي السجون المعنوية .. في السجون العلنية وفي السجون السرية ..» ثم يستطرد موضحا طبيعة التدابير التي تتخذها هذه السلطات بحق الكتاب العرب ، «ان كل شعرائنا وكتابنا خاضعون لاوامر الاقامة الاجبارية العسكرية التي تمنعهم من مغادرة اماكن سكنهم ، واحيانا تمنعهم من مغادرة بيوتهم منذ غروب الشمس حتى شروقها . حتى اشعار الحب ، ايها الاصدقاء ، لا يسمح لنا بنشرها الا بعدما تمر تحت يد الرقيب العسكري» ثم يزيد الصورة وضوحا ، اذ هو يكشف عن دوافع الكتاب العرب في الارض المحتلة والقضية الوطنية التي تستقطب وعيهم ونشاطاتهم الادبية ، «والحقيقة السهلة هي ان الاديب العربي في اسرائيل يدافع عن كرامته وعن كرامة شعبه ، ويحافظ على طابعه القومي دون ان يصطدم ذلك مع موقفه الانساني . نحن لسنا مذنبين لاننا نحمل بطاقة هوية اسرائيلية . ان منحنا هذه البطاقة ليس منة وليس صدفة . لقد اخترنا البقاء في وطننا . ومن يسمح لنا بالاستمرار انما يفعل ذلك مرغما .. لاننا صامدون» . ومحمود درويش يحدثنا عن ثمن هذا الصمود، بل عن ثمن الكلمة في اسرائيل، «هذا هو وجهنا الحقيقي.. هذا هو ضميرنا . واننا نجد في بلادنا صعوبة فائقة في تطهير وجوهنا من الزيف ، ونجد صعوبة في الكلام .. ولكننا نتكلم وندفع ثمن الكلام » .

لعل شهادة محمود درويش تكفي لدحض مزاعم الاستاذ دواره .. ولكننا ، بالاضافة الى هذه الشهادة ، لا بد ان نبحث عن المعايير التي نستطيع بواسطتها ان نحكم ما اذا كان هذا الادب ثوريا او غير ثوري، وما اذا كان يمكن ادراجه ضمن ادب المقاومة او لا ..

ونحن نستطيع ان نتعرف على هوية العمل الادبي والقضايا التي يخدمها حينما نتمكن من الاجابة بصدده على السؤالين التاليين : لمن كتب ، ولماذا ..؟

وفيما يتعلق بـ «سداسية الايام الستة» نجد الاجوبة في غاية الوضوح . فهي موجهة للفلسطينيين بصورة خاصة ، وللعرب بصورة عامة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اميل حبيبي (ابا سلام) لم يكتب هذه السداسية للترويح عن مشاعر ذاتية ، او ليرضي هوى ذاتيا ، او ليفرج عن حزن او شجن ذاتي . وانما هو كتبها في ايام المحنة العصيبة ، الايام التي وضعتنا فيها هزيمة حزيران ، لكي يرصد مشاعر عرب الارض المحتلة في هذه الايام ، مؤكدا على حقيقة جوهرية وهي ان هزيمة حزيران لم تهزم ارادة عرب الارض المحتلة ، ومن ثم فانهم لا يزالون يتطلعون الى الخلاص من كابوس الاحتلال الصهيوني لارضهم . والنتيجة التي يمكن استخلاصها من ذلك هي ان السداسية تخدم قضية المقاومة ، وهذا ما دعاني الى ادراجها ضمن ادب المقاومة.

بقي ان نتساءل عن نصيب دراسة الاستاذ دواره من الامانة ، والموضوعية ، والصدق ... والاجابة على هذا التساؤل اتركها لتقدير القارىء .

دمشق

سامي عطفة

صدر حديثا عن :

دار الرائد العربي

للتأليف والترجمة والنشر

هداية الباري الى ترتيب صحيح البخاري	السيد عبد الرحيم الطهطاوي
الطلاب وانسان المستقبل	الدكتور أسعد علي
يسألونك في الدين والحياة	الدكتور احمد الشرباصي
فدائيون في تاريخ الاسلام	الدكتور احمد الشرباصي
العقوبة في الفقه الاسلامي	الدكتور احمد فتحي بهنسي
الولاية على النفس	الاستاذ محمد ابو زهرة
الميراث عند الجعفرية	الاستاذ محمد ابو زهرة
طبقات الفقهاء	ابو اسحاق الشيرازي الشافعي
النبي وآله	ابراهيم بري
زاد المسافر	ابو بحر صفوان المرسي التجيبي
نفح الازهار في مولد المختار	الاستاذ علي الجندي
النساء لهن اسنان بيضاء	احسان عبد القدوس
سيدة في خدمتك	احسان عبد القدوس
معارك العقاد السياسية	عامر العقاد

الرائد في الادب العربي للسنتين الاولى والثانية الثانوية :
الاستاذ انعام الجندي

الرائد في الجغرافية ، للسنة الثانوية الثانية
الاستاذ عباس قاسم

تطلب هذه الكتب من دار الرائد العربي ـ ومن جميع المكتبات في العالم العربي
ص.ب ٦٥٨٥ بيروت ـ لبنان تلفون ٢٤٥٧٧٨